مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ٤: ٦–١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أمرَ أن يُشرقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أشرَقَ في قلوبِنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيةٍ خزَفيَّة ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا * مُتضايقينَ في كلِّ شيءٍ ولكن غيرَ مُنحصرين. ومُتحيِّرينَ ولكن غيرَ آئسين* ومُضطهَدين ولكن غيرَ مخذولين. ومَطروحين ولكن غيرَ هالِكين* حامِلينَ في الجسدِ كلَّ حينٍ إماتةَ الربِّ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادِنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائِتَة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذْ فينا روحُ الإيمانِ بعينِهِ على حسَبِ ما كُتِبَ إنّي آمنتُ ولذلك تكلَّمتُ فنحنُ أيضاً نؤمِنُ ولِذلك نتكلَّم* عالمينَ أنَّ الذي أقامَ الربَّ يسوعَ سيُقيمُنا نحن أيضاً بيسوعَ فننتصِبَ معكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم

حول الرسالة

في الخامس والعشرين من شهر أيار تعيِّد الكنيسة المقدسة لذكرى وجود هامة السابق للمرة الثالثة، وقد خصصت لهذه المناسبة قراءة فصل من رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (٢ كور ٤: ٦–١٥)، يتكلّم فيه عن دور الرسل في نقل البشارة وعن كونهم آنية خزفية مشدِّداً بذلك على عمل الله من خلالهم. وقد تكون الكنيسة قد قصدت من خلال هذا الفصل الإشارة إلى إكرام رفات القديسين لأنهم آنية لنعمة الله وهي بإكرامها لهذه الرفات تؤكّد على قوة الله الفاعلة في المؤمنين.

في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس يدافع الرسول بولس عن رسوليته تجاه الذين يشككون بها وذلك لأنه بسبب الأوضاع الصعبة التي كان يواجهها خلال عمله التبشيري كان يظهر بمظهر الضعيف، ما أدّى بالبعض إلى الشك في خدمته. لهذا سعى الرسول بولس إلى نقل صورة الرسول الحقيقية، تلك الصورة التي عبَّر عنها يوحنا السابق حين قال لسامعيه: «ينبغي أنَّ ذلك (الرب يسوع) يزيدُ وأنّي أنا أنقُصُ» (يوحنا ٣: ٣٠). والرسول الحقيقي هو الذي تظهر آلام المسيح في جسده بالإضافة إلى مهمته بنقل البشارة بآلام المسيح وقيامته.

العدد ٢٠٠٨/٢١

الأحد ٢٥ أيار

أحد السامرية

وجود هامة السابق المكرَّمة ثالثاً

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

إنطلاقاً من ذلك نستنتج أموراً ثلاثة: هدف الرسول إظهار يسوع من خلال البشارة، وهشاشة جسده تبيّن أن ما يقوم به هو بقوَّة الله نفسه وليس بقوّته الذاتية، والنتيجة ان الجميع، أي الرسول والسامعين، يشتركون في حياة الرب يسوع.

إن الرسول يضع نصب عينيه وصايا الله ويسعى أن يعيش وفقها حتى يحظى برضى الله ويتفاعل مع نعمة الله المسكوبة فيه، فهو يعلم انه بدون الرب يسوع لا يستطيع أن يعمل شيئاً مرضياً لله: «لذلك نحترصُ أيضاً مُستوطِنينَ كُنَّا أو مُتغرِّبينَ أن نكونَ مَرضيينَ عنده» (٢ كور ٥: ٩)

لكي تتكاثر النعمةُ بشُكرِ الأكثرينَ فتزدادُ لمجدِ الله.

الإنجيل

(يوحنا ٤: ٥–٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى مدينةٍ من السامرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضيعةِ التي أعطاها يعقوبُ ليوسُفَ ابنه* وكان هناك عينُ يعقوب. وكان يسوعُ قد تعِبَ من المسير. فجلس على العينِ وكان نحو الساعةِ السادسة* فجاءتِ امرأةٌ من السامرةِ لِتستقِيَ ماءً. فقال لها يسوعُ أعطيني لأشرَب* (فإنَّ تلاميذَهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً)* فقالَتْ له المرأةُ السامريَّةُ كيف تطلبُ أنِ تشربَ منّي وأنتَ يَهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامريَّةٌ واليهودُ لا يخالِطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرفْتِ عطيَّةَ اللهِ ومَن الذي قال لكِ أعطيني لأشرب لَطلَبْتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت له المرأةُ يا سيّدُ إنَّه ليس معك ما تستقي به والبئرُ عميقةٌ. فمِن أين لك الماءُ الحيُّ* ألعلَّكَ أنت أعظمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ ومنها شربَ هو وبنوهُ وماشيتُهُ* أجاب يسوعُ وقال لها كلُّ مَن يشربُ من هذا الماءِ يعطش أيضاً. وأمَّا مَن يشربُ مِنَ الماء الذي أنا أُعطيهِ له فلن يعطشَ إلى الأبد* بل الماءُ الذي أُعطيهِ له يصيرُ فيه

وهو ينجذب بين قطبين، أن ينطلق من هذه الحياة فيكون مع المسيح، أو يبقى على الأرض حتى يتمِّم خدمته عائشاً حياة المسيح: «فإنّنا في هذه أيضاً نئِنُّ مُشتاقينَ إلى أن نلبَسَ فوقَها (خيمتنا الأرضية) مسكننا الذي من السماء» (٢ كور ٥: ٢)؛ «حامِلينَ في الجسَدِ كُلَّ حينٍ إماتةَ الربِّ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادِنا» (٢ كور ٤: ١٠).

حياة الرسول هذه هي مثال حي للعيش مع المسيح، وهو إذا كان يواجه المشقات والمصاعب والإضطهادات ينظر إلى الرب يسوع على الصليب الذي احتمل الآلام والموت لكي يخلِّصنا، ويتذكَّر أن ليس عبد أفضل من سيِّده، وإن كان العالم قد اضطهد يسوع فإن تلاميذ الرب سيواجهون المصير نفسه. هذه الإضطهادات والمصاعب التي يواجهها الرسول قد تشوِّه صورته عند غير العارفين حقيقة الأمر، ومع ذلك فإن الرسول يتابع خدمته وينجح فيها لأنه يتكل على الله الذي يقوّيه. هذا يؤكِّد ان ما يقوم به هو عمل إلهي وهو لا يقوى على القيام به بمجهوده الخاص، إذ إن الله نفسه يعمل فيه بالروح الذي يسكبه فيه. والهدف دائماً أن تظهر حياة الرب يسوع، وأن لا يشكِّل الرسول عائقاً، بأي شكل من الأشكال، بين الرب وبين سامعي البشارة: «لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائِتَة» (٢ كور ٤: ١١). لكن هذا كلّه لا يعطي الرسول أي امتياز على بقيَّة المؤمنين، فهو على العكس مستعد للموت من أجلهم، كما فعل الرب يسوع نفسه، وهم بدورهم سيكونون مستعدين للموت من أجل إخوتهم على مثال الرب يسوع، لأننا جميعاً سنلاقي الرب يسوع في اليوم الأخيرِ فنقوم معه في مجده: «عالمينَ أنَّ الذي أقامَ الربَّ يسوعَ سيُقيمُنا نحن أيضاً بيسوعَ ويُحضِرُنا معكم» (٢ كور ٤: ١٤)، «لأنَّه لا بدَّ أننا جميعاً نُظهَرُ أمام كُرسيِّ المسيحِ لينالَ كلُّ واحدٍ ما كان بالجسدِ بحسَبِ ما صنعَ خيراً كان أم شرًّا» (٢ كور ٥: ١٠).

المعمدان في إنجيل يوحنا

«وأمَّا هذه فقد كُتِبَتْ لتؤمنوا أنَّ يسوعَ هو المسيحُ ابنُ اللهِ ولكي تكون لكم إذا آمنتُم حياةٌ باسمه» (يو ٢٠: ٣١).

بهذه الكلمات يُنهي الإنجيلي يوحنا حادثة ظهور الرب يسوع لتوما وللتلاميذ الآخرين من بعد قيامته من بين الأموات في اليوم الثامن. المهم بالنسبة للإنجيلي يوحنا، وهذا هو الهدف من كل ما كتبه في إنجيله، أن يؤمن الجميع بأن يسوع هو المسيح ابن الله. وهكذا فإن دور المعمدان في إنجيل يوحنا هو لخدمة هذا الهدف أي ليشهد ليسوع انه ابن الله: «وأنا (أي يوحنا) قد رأيتُ وشهدتُ أنَّ هذا هو ابنُ اللهِ» (يو ١: ٣٤).

منذ الآيات الأولى في مقدمة إنجيله (١: ١–١٨) يحصر الإنجيلي

ينبوعَ ماءٍ ينبعُ إلى حياةٍ أبديَّة* فقالت له المرأةُ يا سيّدُ أعطِني هذا الماءَ لكي لا أعطَشَ ولا أجيءَ إلى ههنا لأستقي* فقال لها يسوع اذهبي وادْعي رَجُلَكِ وهلمّي إلى ههنا* أجابتِ المرأة وقالتْ إنّه لا رجلَ لي. فقال لها يسوعُ قد أحسَنْتِ بقولكِ إنّه لا رجُلَ لي* فإنّهُ كانَ لكِ خمسةُ رجالٍ والذي معكِ الآنَ ليس رجُلَكِ. هذا قلتِهِ بالصدق* قالتِ له المرأة يا سيّدُ أرى أنّك نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبل. وأنتم تقولون إنّ المكانَ الذي ينبغي أن يُسجَدَ فيه هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صدِّقيني إنّها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبلِ ولا في أورشليمَ تسجدون فيها للآب* أنتم تسجدون لما لا تعلَمون ونحن نسجُدُ لما نعلَم. لأنّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكن تأتي ساعةٌ وهي الآنَ حاضِرَةٌ إذِ الساجدون الحقيقيُّون يسجُدون للآبِ بالروحِ والحقِّ. لأنّ الآبَ إنّما يطلُبُ الساجدين له مثلَ هؤلاء* اللهُ روحٌ. والذينَ يسجُدون له فبالروحِ والحقِّ ينبغي أن يسجُدوا* قالت له المرأة قد علِمتُ أنّ مَسيّا الذي يُقالُ له المسيحُ يأتي. فمتى جاءَ ذاك فهو يُخبِرُنا بكلِّ شيء* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معكِ هو* وعند ذلك جاءِ تلاميذُهُ فتعجَّبوا أنّهُ يتكلَّمُ مع امرأةٍ. ولكن لم يقلْ أحدٌ ماذا تطلبُ أو لماذا تتكلَّمُ معها* فتركَتِ

يوحنا دور المعمدان بالشهادة للرب: «كان إنسانٌ مُرسَلٌ من اللهِ اسمُه يوحنا. هذا جاء للشهادةِ ليشهَد للنورِ لكي يؤمِنَ الكُلُّ بواسطتِه. لم يكن هو النورَ بل ليشهَدَ للنور... يوحنا شهِد له (أي ليسوع) ونادى قائلاً هذا هو الذي قلتُ عنه إنّ الذي يأتي بعدي صارَ قدّامي لأنّه كان قبلي» (يو ١: ٦–٨، ١٥). المهم بالنسبة للمعمدان أن يكون هو وكل سامعيه والمؤمنين في نور المسيح الذي يضيء كل إنسانٍ آتٍ إلى العالم.

بعد المقدمة يبتدئ يوحنا إنجيله بالحديث عن المعمدان كسابق ومهيء لمجيء المسيح، إلا انه يقوم بذلك بشكل مختلف عما فعله باقي الإنجيليين، فهو لا يفصِّل قصة معمودية الرب على يد المعمدان، ولا يورد رواية ولادته كما فعل لوقا الإنجيلي. يبتدئ الإنجيلي يوحنا مباشرة بـ«وهذه هي شهادة يوحنا...» (يو ١: ١٩). من جديد، كل ما يهم من شخصية المعمدان هو شهادته للرب. هذه الشهادة تمتد إلى ثلاثة أيام أو مراحل (١: ١٩–٤٢).

في اليوم الأول (١: ١٩–٢٨) أرسل اليهود كهنة ولاويين ليسألوا المعمدان «مَن أنت»؟ فاعترف أمامهم، أي أمام كل إسرائيل، وأقر دون تردد «إنّي لستُ أنا المسيحَ» (١:٢٠) ولست إيليا ولا النبي. عادوا وسألوه «مَن أنتَ لِنُعطيَ جواباً للذينَ أرسلونا. ماذا تقولُ عن نفسِك. قال أنا صوتُ صارخٍ في البريَّةِ...» (١: ٢٢–٢٣). عندها سألوه لماذا يعمّد إن لم يكن المسيح أو إيليا أو النبي، أجابهم «أنا أعمِّدُ بماءٍ. ولكن في وسَطِكُم قائمٌ الذي لستم تعرِفونه. هو الذي يأتي بعدي الذي صارَ قدّامي الذي لستُ بمستحقٍّ أن أحُلَّ سيورَ حذائِه» (١: ٢٦–٢٧). لا يطلق المعمدان على نفسه اسم، انه مجرد صوت صارخ أمام المسيح. فكل شيء في إنجيل يوحنا يسبِّح في نور المسيح. عند ذكر المسيح لا يعود هناك أهميَّة لأي اسم أو شخصية أخرى. يقول أحد الكتاب المسيحيين المعاصرين: «أقرب الناس إلى المسيح هم أكثر احتجاباً وخفاءً، وهذا درس لنا في القداسة الشخصية. القديسون لا يظهرون أنفسهم أبداً. فالمعمدان منذ الآن يسبح في نور المسيح. هو مجرد الصوت الذي يعلن الإسم القدوس الأوحد الجدير بأن يُعرف». من هنا نلاحظ ان الإنجيلي يوحنا في كل إنجيله لا يُسمِّي الأشخاص بأسمائهم بل يسمِّيهم نسبة ليسوع (أم يسوع، التلميذ الذي كان يسوع يحبه). وهكذا فإن المعمدان لا يصف ذاته نسبة لنفسه بل للمسيح، يعلن ذاته كصوت يُعد الناس لمجيء المسيح، وكأنه يقول مع العهد القديم كله انهم يختفون في النور القادم إلى العالم، نور المسيح الذي يعمِّد بالروح والنار. المعمدان كما كل القديسين يختفون ليظهر المسيح. ألم يقل المعمدان لاحقاً شاهداً للمسيح: «ينبغي أنَّ ذلك (أي المسيح) يزيدُ وأنّي أنا أنقصُ. الذي يأتي من فوقُ هو فوقَ الجميعِ» (يو ٣: ٣٠–٣١).

في اليوم التالي يرى المعمدان يسوع مقبلاً فيشهد أمام تلاميذه قائلاً «هوذا حَمَلُ اللهِ الذي يرفَعُ

المرأةُ جرَّتَـهـا ومضتْ إلى المديـنـةِ وقـالتْ للـنـاس* تعالوا انظروا إنساناً قالَ لي كلَّ ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هـو المسيح* فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوهُ* وفي أثنـاءِ ذلك سـألـه تـلاميذه قائلينَ يا معلّمُ كُلْ* فقال لهم إنَّ لي طعاماً لآكُلَ لستم تـعـرفـونـه أنـتـم* فـقـال التلاميذُ فيما بينهم ألعَلَّ أحداً جاءَهُ بما يأكُلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أنْ أعمَلَ مشيئة الذي أرسلني وأُتممَ عملَهُ* ألستم تقولون أنتم إنَّه يكونُ أربعةُ أشهر ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أنا أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارع إنَّها قد ابيضَّتْ للحَصاد* والذي يحصِدُ يأخُذُ أُجْرَةً ويجمعُ ثمراً لحياةٍ أبديَّة لكي يفرحَ الزارعُ والحاصِدُ معاً* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحداً يـزرَعُ وآخـرَ يـحصِدُ* إنّي أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تـتـعَـبـوا أنـتـم فـيـه* فـإن آخرينَ تعِبوا وأنتم دخلتم على تعبِهم* فآمنَ به من تلكَ المديـنـةِ كـثيرون من السامريّين من أجل كلامِ المرأةِ التي كانت تشهَدُ أنْ قد قالَ لي كلَّ ما فعلتُ* ولمَّا أتى إليه السامريُّون سـألـوهُ أن يُـقـيـمَ عـندهـم. فمكث هناك يومَيْن* فآمنَ جمعٌ أكثرَ من أولئِكَ جدًّا مـن أجـل كـلامـه* وكـانـوا يـقـولـون للمرأةِ لسنـا مـن أجـلِ كـلامـكِ نـؤمـنُ الآن. لأنَّا نَحنُ قد سمِعنا ونعلَمُ أنَّ هـذا هـو بـالحقـيـقـة المسيحُ مخلّصُ العالم.

خطيئةَ العالَم... إنّي قد رأيتُ الروحَ نـازلاً مـثـلَ حـمـامـةٍ مـن السمـاءِ فاستقرَّ عليه... أنا قد رأيتُ وشهِدتُ أنَّ هذا هو ابنُ اللهِ» (١: ٢٩–٣٤). في الأناجيل الإزائية (متى، مرقس ولـوقـا) يـرسل المعمدان إثنين من تـلامـيـذه لـيسـأل يسـوع: «أنت هـو الآتي أم ننتظِرُ آخر» (متى ١١: ٣)، وكـأنـه هـنـاك تسـاؤل مـا إذا كـان يسـوع هـو المسـيـح المـنـتـظر أم لا. بينـمـا هنـا في إنـجيل يوحـنا منذ الـلـحـظـة الأولى لا وجـود لـهـذا التساؤل أو الشك. فيسوع بالنسبة للمعمدان وليوحنا هو المسيح ابن الـلـه، وهذا يجب أن يكون واضحـاً منذ البدء. يعلِّم المعمدان تلاميذه الإيمان الجديد الـذي أتـى لـيـمـهـد الـطـريـق إلـيـه، الإيمان بيسوع ابن الله، وهذه هي ركيزة الإيمان التي على كل مؤمن أن يحويها في قلبه. الواضح أيضاً للمعمدان ان المسيح هو «حمَل الله الذي يرفع خطيئة الـعـالم». هـذا الكـلام يـجلب إلـى فـكـرنـا صـورة رجـل الأوجـاع في سِفر اشعياء النبي (الإصحاح ٥٣) حيث صورة الحمَل الذي يُساق إلى الذبـح دون أن يـفـتـح فـاه. إذاً منذ البدء يعلن المعمدان ان يسوع هو الحمَل الفصحي، هـو الحمَل الذي سوف يُعلَّقَ على الصليب فيظهر مجدَه ويـتـجـلّـى لـلـجـمـيـع انـه ابـن الـلـه.

في الـيـوم الـثـالث كـان مـع المعـمـدان إثـنـان مـن تـلامـيـذه فـيـقـول لـهـمـا عـن يسـوع «هـوذا حمـلُ الـلـهِ. فسمِـعَـهُ الـتـلـمـيـذانِ يتكلَّمُ فتبِعـا يسوعَ... ومكثا عنده ذلك اليوم» (يو ١: ٣٥– ٣٩). مَنْ يشـهَـد لـلـمـسـيـح لا يُـقـيـم تـلامـيـذ لنفسه بل تلاميذ للمسيح. كل شيء يمتد ويـتـجـه نـحـو المسيح لا نـحـو الـذات. المعـمـدان والـقـديسـون والمعلّـمـون في الكـنيسة يقيمون تلامذة للمسيح حتى إذا مكثوا عنده نـالـوا الحيـاة الأبـديـة وصـاروا من أبناء الملكوت.

في الصلاة

يجب أن ننصرف حقاً إلى تطبيق كـلـمـات الـقـديس بـولس إلى الكورنثيين على أنفسنا. هكذا يكتب: ما فائدة ذلك لكم أيها الكورنثيون، إن كـنـتـم تصلّـون فـقـط بـالصوت، بينما لا ينتبه ذهنكم إلى الصلاة وإنما يحلم بشيء آخر؟ أية فائدة هناك إن كان اللسان يقول كثيراً، لكن الذهن لا يفكر فيما يُقال، حتى لو كنتم تلفظون كلمات كثيرة جداً؟ أيـة فـائـدة هـنـاك إن كـنـتم تـرتـلـون بملء الصوت وبكل قـوة رئـتـيـكم بينما لا يقف ذهنكم أمام الله ولا يراه، بل يهيم بعيداً بالفكر في مكان آخر؟ مثل هذه الصلاة لن تنفعكم. لم يسمعها الله، إنما ستبقى بلا ثمر. حسـنـاً حـكم الـقـديس كـبريـانـوس عندما قال: «كيف يمكنك أن تتوقع أن يسمعك الله، عندما لا تسمع أنت نفسك؟ كيف تتوقع أن يذكرك الله عندما تصلّي، إن كنت أنت لا تتذكر نفسك»؟

القديس ديمتري روستوف

بـالامـكـان الإطلاع عـلـى الـنشـرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb